EUROPEAN COUNCIL OF IMAMS
المجلس الأوروبي للأئمة

كيف نعزز هوية أولاد مسلمي أوروبا؟

« طه سليمان عامر»

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد الأنبياء وإمام المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه الغر الميامين وعلى من اهتدي بهداه إلى يوم الدين وبعد،

فإن الحضور الإسلامي في الغرب عامة وأوروبا خاصة يتطور كماً وكيفاً على مستويات عديدة من الارتجالية إلى التخطيط، ومن الحضور الطارىء إلى المواطنة، ومن العشوائية إلى المهنية، ومن العموم إلى التخصص، ومن العزلة إلى التفاعل مع المجتمع، ومن التهميش إلى الفاعلية والتأثير. والحضور الإسلامي الحديث هو ثمرة هجرات متتابعة عبر العقود الماضية، فقد وصل ملايين المسلمين إلى أوروبا بعد الحرب العالمية الثانية لقصد المشاركة في إعمارها وإعادة بنائها، ثم تتابعت أعداد كبيرة منهم لاحقاً بدوافع ثقافية واقتصادية وسياسية واجتماعية، ولم تكن غاية كثيرين منهم الاس

تقرار هنا؛ لكنها أقدار الله تعالى التي غيرت مجرى تاريخ الوجود الإسلامي المعاصر في أوروبا.

وقد نشأت عن تلك الهجرات إشكالات فكرية عديدة، منها: حكم الإقامة في الغرب، وحدود التعامل مع غير المسلمين، والولاء للوطن الأوروبي، والحصول على الجنسية، وهل يتعارض الانتماء للبلد غير المسلم مع العقيدة الإسلامية؟ وهل التجنيد في الجيش أو العمل في الشرطة يتعارض مع قطعيات الشريعة وأحكامها؟ وما علاقة المسلم الأوروبي بالأمة الإسلامية؟ وكيف يوازن المسلم الأوروبي بين مقتضيات الانتماء

للأمة وقضاياها ومقتضيات المواطنة؟ إلى غير ذلك من الأسئلة التي دعت المؤسسات الإسلامية على الساحة الأوروبية إلى عقد الندوات الفقهية للإجابة عن تلك التساؤلات، ثم بادرت إلى تأسيس فقه أوروبي يراعي خصوصية المسلم في الغرب معتمداً في ذلك على مصادر الشريعة المتفق عليها، وهي الكتاب السنة والإجماع القياس، ومنتفعاً بالمصادر المختلف فيها مثل المصالح المرسلة والاستحسان والعرف.. إلخ، ومهتدياً بالتراث الفقهي والمدارس الفقهية متعددة المشارب والمذاهب، واضعاً نصب عينيه تغير الفتوى بتغير الزمان والمكان والعرف والحال والظروف والأشخاص كما قرر العلماء، لذلك تأسس المجلس الأوروبي للإفتاء والبحوث الذي أُسس عام 1997 م.

وسوف نبين - بإذن الله تعالى - في تلك الصحائف المقصود بالهوية وتعريفها وعناصرها، ودور الأسرة المسلمة في تشكيل هوية الأجيال، ثم نذكر أهم معالم هوية المسلم الأوروبي.

وكتبه / طه سليمان عامر
فرانكفورت / ألمانيا

أولاً : الهوية

لمَّا خلق الله تعالى الخلق جعل لكل إنسان صفات وخصائص جسمية وعقلية ونفسية تختلف عن غيره وتلك آية في الخلق؛ كما قال جل في علاه: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ﴾ [الروم: 21]

ومن سنن الله تعالى سنة التنوع في الخلق جميعاً .

فلا غرو أن هوية كل شخص تختلف عن غيره من الناس الأمر الذي يجعله غير متماثل مع غيره، يقول **أمين معلوم** :

"هويتي هي ما يجعلني غير متماثل مع أي شخص"[1].

يقول إيمانويل رينو: "ونحن نقصد بالهوية في الوقت ذاته، ما نوجد عليه على نحو فردي وما نريد أن نكون عليه على معنى ما يميز خصوصيتنا والكيفية التي نتمثل بها هذه الخصوصية معاً، وبعبارة أخرى الكيفية التي يتعين بها كل فرد على حدة، والتي بها يتطابق في الوقت ذاته مع معايير عامة، وينتسب بها إلى جماعات محددة"[2].

[1] الهويات القاتلة، أمين معلوف، ص 14، ورد للطباعة، سوريا، دمشق، الطبعة الأولى، 1999.

[2] الهوية، مجموعة باحثين، ترجمة عبد القادر قنيني، المركز الثقافي العربي المغرب، الطبعة الأولى، 2005.

ثانيًا - عناصر الهوية ومستوياتها

تتشكل الهوية من مكونات وعناصر عديدة، منها : الاسم، النوع، العقيدة، المذهب، الثقافة، التاريخ، فلسفة الحياة، النسب للأب والعائلة أو القبيلة، الوظيفة والمهنة، موطن الميلاد، موطن الإقامة، الانتماء لحزب سياسي أو جمعية خيرية أو نادي رياضي، العادات والتقاليد، الهوايات، أذواق اللباس والطعام والشراب إلخ...
من هذه العناصر وغيرها تتشكل هوية الإنسان وتغدو جزءًا من كيانه الفكري والنفسي والاجتماعي.

- الهوية ومستوياتها

لاريب أن العناصر التي تشكل الهوية ليست على مساق واحد؛ بل تتفاوت من حيث الحاجة الفطرية لها، فهناك حاجة للانتماء للوالدين والأسرة، ومن حيث الأولوية والأهمية وفقاً لمنظومة الأسرة والمجتمع ومصدر الفكر والسلوك، فإن لنا فلسفة في الحياة نستقيها من الوحي المقدس فهو الذي يُشكل لنا موازين وضوابط حاكمة في الفكر والأخلاق والتصرفات والمشاعر والمواقف.

ماذا إذا فقد المرء هويته ؟

أتخيل شخصاً يفقد جواز سفره فجأة فماذا تكون النتيجة؟ كيف يقضي حاجاته ومعاملاته وتحركاته؟

لا ريب أنه سيكون في كرب شديد، ماذا لو فقد المرء نسَبه فعاش لا يعرف له أباً ولا عائلة؟ سيكون مشروع إنسان يائسٍ بائسٍ لا ينتظر العالم منه تصدير المحبة والسلام، لهذا تشوف الإسلام دوماً إلى النسب والمحافظة عليه؛ فقام بإبطال التبني الذي كان عرفاً في الجاهلية وصدر الإسلام، فقال تعالى: ﴿**ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ ۚ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ ۚ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُم بِهِ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ ۚ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا**﴾ [الأحزاب: 5].

قال صلى الله عليه وسلم : «مَنِ ادَّعَى إِلَى غَيْرِ أَبِيهِ، وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ غَيْرُ أَبِيهِ، فَالْجَنَّةُ عَلَيْهِ حَرَامٌ»[3].

وماذا عن الألوف الذين فقدوا آباءهم؟ لقد وضع الإسلام بديلاً حسناً وهو أخوة الإسلام وكفالة اليتيم، فقال صلى الله عليه وسلم : «وَأَنَا وَكَافِلُ اليَتِيمِ فِي الجَنَّةِ هَكَذَا» وَأَشَارَ بِالسَّبَّابَةِ وَالوُسْطَى، وَفَرَّجَ بَيْنَهُمَا شَيْئًا[4].

هوية المرء أساس شخصيته وثقته بنفسه وقدرته على العطاء وإفادة المجتمع من حوله، هوية الإنسان معول بناء وتنمية وتصالح مع نفسه وانسجام مع محيطه الاجتماعي.

ثالثاً: الأسرة المسلمة وبناء هوية الأجيال المسلمة

للأسرة الدور الأعظم في بناء شخصية الإنسان، عقيدةً، وعبادةً، وأخلاقاً، وسلوكاً، وآداباً، وفكراً.

[3] البخاري (6385)، ومسلم (63).

[4] البخاري (4998)، ومسلم (٢٩٨٣).

العمود الفقري لهوية المرء ثقته بنفسه، فبها يُعبر عن نفسه وعن قناعاته، و بها يناضل ويدافع عن خياراته وأفكاره. و يستعصي على السير خلف القطيع دون عقل أو إرادة. بها يرضى عن نفسه، عن لونه، عن شكله، وما أحوج الأجيال الجديدة من أبناء مسلمي الغرب خاصة إلى تلك الشخصية الواثقة في غير غرور؛ إذ أنَّ الشاب والفتاة يجد نفسه مضطرًا إلى مواجة أفكار أو خيارات تتعارض مع أحكام الشريعة، في اللباس والطعام والشراب والزينة والعادات والسلوك والأفكار والمشاعر إلخ، فإن لم يكن صاحب رأي وظهير أسري سيذوب في غيره وسيخجل من نفسه وقناعاته، ولن يستطيع أن يعتز بهويته الخاصة سيما إذا وُوجِه بعنصرية وتمييز ، فكم من فتاة مسلمة تعرضت لضغوط شديدة بسبب حجابها، وكم من شاب جارى الصحبة في مقارفة المعاصي لضعف شخصيته، وضعف قدرته عن التعبير عن دينه وما يوجبه وما يحرمه عليه.

وفي المقابل وجدنا كثيراً من الفتيات والشباب في الغرب قابضين على دينهم، ثابتين على عقيدتهم، متألقين بأخلاقهم، ناجحين في دراستهم، منضبطين في معاملاتهم، واضحين في اختياراتهم، مناضلين عن قناعاته، متفاعلين مع قضايا مجتمعهم، محبين لأوطانهم، منتمين لأمتهم حول العالم.

من الأهمية بمكان أن تدرك الأسرة المسلمة في الغرب التغيرات الفكرية التي طرأت على مفهوم الأسرة ما بعد الحداثة؛ كما يقول **د. طه عبد الرحمن** حول الأفكار التي طرأت على مفهوم الأسرة من منظور غربي تحت عنوان: {نظام الأسرة الغربية والتفصيل الموجه } أريد للأسرة الحداثية الانفصال عن الأخلاق التقليدية التي

مصدرها الدين على اعتبار أنها في زعمهم لا إنسانية ولا عقلانية ولا دنيوية، فذهبوا إلى ضرورة فصل الأخلاق عن الدين باعتماد مبادئ ثلاثة:

الأول : مبدأ التوجه إلى الإنسان باعتباره قادراً على تدبير أمور نفسه وليس بحاجة ويستطيع أن يقوم بنفسه أي الانفصال عن الإله.
الثاني : التوسل بالعقل، بأن نترك التوسل في أفكارنا وسلوكنا بالوحي ونقتصر فيها على التوسل بالعقل؛ أي الانفصال عن الوحي.
الثالث: مبدأ التعلق بالدنيا، بأن نترك التعلق في أعمالنا ومعاملاتنا بالآخرة ونقتصر فيها على التعلق بالدنيا؛ أي الانفصال عن الآخرة[5].
ونجد أن هيمنة تلك المبادئ على أخلاق الأسرة المعاصرة تُفضي إلى مزيد من عزل الأخلاق عن الدين في إطار الأسرة وعزل الأسرة عن المجتمع؛ بل عزل الأسرة عن نفسها[6].

حتى تقوم الأسرة بدورها في الغرب لحفظ كيانها عليها أن تدرك المخاطر والتحديات التي تواجهها وخصوصيتها التي تحدث عنها **د. عبد المجيد النجار** في بحثه: "مقاصد الشريعة في أحكام الأسرة توجيها لأحكام الأسرة المسلمة في أوروبا، فالأسرة المسلمة تخضع لسلطان غير إسلامي؛ مما ينتج إشكالات كثيرة، كما تعاني عزلة أسرية في محيط غير مسلم، والعبء التربوي عليها شديد الوطأة، كما أنها تتعرض للغواية بشتى

[5] روح الحداثة، المدخل إلى تأسيس الحداثة الإسلامية، د. طه عبد الرحمن، ص 99-102، باختصار وتصرف، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى، 2006.
[6] للاستزادة راجع: روح الحداثة ص102-110.

صنوفها، وفي ظل تلك البيئة المادية وجب النظر المقاصدي للأسرة وتفعيل أحكامها في دائرة الأسرة المسلمة لتكون بحق شاهدة على الناس وتقدم نموذجًا حضاريًّا للأسرة في ظل موجة عاتية تستهدف ضياع القيم الأسرية"[7].

وقد عقد الإمام محمد الطاهر بن عاشور فصلاً في كتابه: "مقاصد الشريعة الإسلامية" بعنوان: مقاصد العائلة وعدها من مقاصد الشرائع الإلهية قال: "انتظام أمر العائلات في الأمة أساس حضارتها ونظام جامعتها، فلذلك كان الاعتناء بضبط نظام العائلة من مقصد الشرائع البشرية كلها"[8].

وجعل حفظ العائلة من المقاصد العامة للشريعة، ثم جعل داخل المقاصد العام مقاصد خاصة، ثم مقاصد جزئية من الأهمية بمكان إحيائها في عالمنا المعاصر وفي الغرب خاصة، فجعل آصرة النكاح وميل الذكر إلى الأنثى ميلًا فطرياً "وتلك الداعية هي داعية ميل ذكور النوع إلى إناثه"[9].

وهو يشير بذلك إلى نظام الفطرة الإنسانية في أمر الزواج.

وعن مقصد جزئي في اشتراط الولي في عقد النكاح الذي يتهاون فيه كثير من الشباب في الغرب حالياً يقول: "أن يتولى عقد المرأة ولى لها خاص إن كان أو عام، ليظهر أن المرأة لم تتول الركون إلى الرجل وحدها دون علم ذويها؛ لأن ذلك أول الفروق بين النكاح وبين الزنا والمخادنة والبغاء والاستبضاع.."[10].

---

[7] للاستزادة راجع كتاب فقه المواطنة للمسلمين في أوروبا 209 وما بعده.

[8] المصدر السابق، ص 151.

[9] المصدر السابق، ص 152

[10] المصدر السابق، ص 155.

وأكد مقصد حفظ العرض والشرف، وتحدث عن أنواع النكاح الذي ساد العرب قبل الإسلام، وفرَّق بين عقد الزواج المبني على المكارمة وعقد البيع المبني على المكايسة. لذلك انتقد الفقهاء الذي عرفوا المهر بأن المهر عبارة عن : عوض عن البضع "إذ لو كان عوضاً لروعي فيه مقدار المنفعة المعوض عنها، ولوجوب تجدد مقدار من المال كلما تحقق أن المقدار المبذول من المال قد استغرقته المنافع الحاصلة للرجل في مدة من مدد بقاء الزوجة في عصمته، مثل عوض الإجارة ولو كان ثمن المرأة لوجب إرجاعها إياه..."[11].

ولم يقصد التهوين من الصداق أو النظر المنفعي الفطري في النكاح؛ لكنه أراد للمعنى القيمي أن يكون في صدارة العلاقة الزوجية.

وأكَّدَ على مقصد خاص من النكاح وهو حفظ النسب الناشئ عن علاقة زوجية شرعية، ثم تناول مقصدًا آخر وهو التمدد الطبيعي للأسرة، آصرة الصهر"[12].

رابعًا: **تعدد الهويات:**

سؤال يشغل كثيراً من المسلمين في الغرب، هل هناك مشكلة في تعدد الولاءات؟ هل يتعارض الولاء للوطن مع الولاء للدين؟ هل يمكن للمرء أن يحمل في قلبه وعقله أكثر من انتماء؟

تعدد الهويات والانتماءات أمر طبيعي، فلا حرج أن يحمل المسلم في عقله وقلبه الانتماء لأكثر من وطن، فيحب موطن ميلاده ويحب موطن إقامته، ولا ريب أن ينتمي المسلم لوطنه الذي ولد فيه، إذ أنَّ الانتماء والولاء يعني: المشاعر تجاه المجتمع

[11] المصدر السابق، ص 155.

[12] المصدر السابق، راجع ص158-161.

وتجاه الوطن، والحرص على سلامته ورفاهيته وأمنه المادي والاجتماعي، ومن يتأمل القرآن الكريم يجد أنَّ الله تعالى دعانا إلى الانسجام والوئام مع الأرض ومن عليها، والحرص على سلامة المجتمع وأهله على أن يكون ذلك في إطار الثوابت الشرعية والقيم والأخلاقية والمباديء العالية، ولعلنا نشير إلى ذلك فيما يلي :

- عمارة الحياة وتثمير الأرض، تُعد من مقاصد خلق الإنسان، قال تعالى:

﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا ۚ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾ [هود: 61]

- الانتفاع بخيرات الأرض مباح للإنسان؛ وقد سخر الله تعالى لنا ما في السموات والأرض، قال تعالى:

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: 29]

- الرحمة هي رسالة المسلم في الأرض قال تعالى:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: 107]

والمسلم لا يشعر بوحشة في أي مكان ذلك لأنه يؤمن بأن الكون وما فيه مخلوقًا لله تعالى يسجد له ويسبح بحمده، وإنْ كنا لا نفقه تسبيحه، قال تعالى: **﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ [فصلت: 11]**

وقد قيل لبعض العاكفين في خلوة: ألا تستوحش؟ قال: كيف أستوحش والله يقول في الحديث القدسي: وأنا جليس من ذكرني.

متى يكون الولاء للوطن مُحرماً؟

الغلو مذموم في كل شيء ويخرج صاحبه عن الجادة لذلك نقول هنا: إذا دعت محبة الأوطان إلى ظلم الآخرين أو النظرة الفوقية إلى الأمم الأخرى فهنا يكون ولاءً محرماً قال تعالى : ﴿قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [التوبة: 24]

الولاء المحرم يكون مقيداً بقيدين؛ كما فصَّل القول فيه **الشيخ فيصل مولوي** في كتابه، "المسلم مواطناً في أوروبا":

الأول: أن يكون الكفار في حالة حرب مع المسلمين، فلا تجوز موالاتهم. قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [الممتحنة: 9]

الثاني: أن تكون موالاة الكفار ضد المسلمين، قال تعالى: ﴿لَّا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: 28]

وهناك صور من الموالاة جائزة مع غير المسلمين كحب الزوج لزوجته غير المسلمة: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الروم: 21]

وقد كان بعض المسلمين يحبون اليهود فلم يُنهوا عن ذلك: ﴿هَا أَنتُمْ أُولَاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ ۚ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [آل عمران: 119][13].

[13] الشيخ فيصل مولوي: المسلم مواطنًا في أوروبا، باختصار وتصرف ص22، 23، من إصدارات الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين، لجنة التأليف والترجمة، 2008.

قال الشاعر العربي دريد بن الصمة معبراً عن حال العربي قديماً حينما ينتصر لأخيه سواء كان على حق أو باطل :

وما أنا إلا من غزية إن غوت
غويتُ وإن ترشد غزية أرشد

ويقول أبو الطيب المتنبي:

والظلم من شيم النفوس فإنْ تجد ذا عفةٍ فلعلةٍ لا يظلم

وهناك آيات معيارية ترسي قواعد مهمَّة جدًّا في مسألتنا:

قال تعالى:

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ۚ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [النساء: 58]

فالعدل قيمة معيارية حاكمة ضابطة للأفكار والمشاعر والسلوك والتصرفات والمواقف.

وقال تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ ۚ وَلَا تَكُن لِّلْخَائِنِينَ خَصِيمًا﴾ [النساء: 105].

خامساً : كيف السبيل للتعايش بهويات مركبة؟

لاريب أن الأجيال الجديدة من أبناء المسلمين في الغرب يواجهون إشكالية الهوية المركبة، فهذا ألماني أو فرنسي أو انجليزي من أصل مصري أو سوري أو مغربي أو جزائري أو باكستاني؛ ولكن أي هوية تتقدم على الأخرى؟

التزاحم بين الهويات

إنَّ خوف بعض الآباء من نسيان أولادهم لأصولهم، وحرصهم على ربطهم بالأوطان الأولى يجعلهم يمارسون عليهم ضغطاً ثقافيًّا كبيراً، ولا يقبلون منهم فكرة الانتماء للوطن الأوروبي، ويزكي فكرة رفض الانتماء ارتفاع معدلات العنصرية والاعتداءات المادية والمعنوية على المسلمين والتضييق عليهم في العديد من الدول الأوروبية سيما بعد صعود اليمين المتطرف، كذلك هناك غلو في مفهوم الانتماء للمجتمع الأوروبي إلى درجة الذوبان والتهاون في الخصوصية الدينية؛ ما أفضي إلى ضياع كثير من شباب المسلمين فأضحوا اسماً بلا مسمى، وعنواناً على دين فقدوا مقوماته.

يقول أمين معلوم: "كل من يتبنى هوية أكثر تعقيدًا سيجد نفسه مهمشاً".

إنَّ شاباً يولد في فرنسا من أبوين جزائريين يحمل في داخله انتماءين بديهيين، ويجب أن يكون قادراً على الاطلاع بكليهما: قلت انتماءين من أجل وضوح الطرح؛ ولكن مكونات شخصيته أكثر بكثير.

سواء تعلق الأمر باللغة أو المعتقدات أو نمط العيش أو العلاقات العائلية أو الأذواق الفنية أو المأكولات فإن التأثيرات الفرنسية والأوروبية والغربية تختلط عنده بالتأثيرات العربية والبربرية والأفريقية والمسلمة... إنها تجربة غنية وخصبة إذا شعر هذا الرجل الشاب أنه حرًّا ليحياها كليًّا، وإذا شعر بتشجيع لكي يضطلع بكل تنوعه، على العكس، قد يتكشف عن أن مساره يسبب له الاضطراب، إذا نظر إليه البعض،

كلما أكد أنه فرنسي، على أنه خائن؛ بل مرتد، وإذا اصطدم بعدم التفهم والحذر والعداء، كلما أعطى الأولوية لروابطه مع الجزائر وتاريخه وثقافته وديانته[14].

سادساً: دور مؤسسات الدولة في تعزيز الهويات المركبة

يجب أن تتبني الدولة بجميع مؤسساتها خطاباً منفتحاً على مكونات المجتمع الأوروبي والنظر للتعددية الثقافية والدينية والفكرية التي تتميز بها أوروبا على أنها مصدر قوة وثراء للمجتمع.

يشعر بعض أبناء مسلمي الغرب بالغربة داخل أوطانهم التي ولدوا فيها ودخلوا مدارسها وجامعاتها، وهذا من شأنه أن يعزلهم عن المجتمع، ولا تخطئ العين أن العنصرية التي تواجه مسلمي الغرب ترتفع وتيرتها في السنوات الأخيرة.

علينا جميعاً أن نعمل على عزل تيار الكراهية ومن يمارسون ضغوطاً على المسلمين على خلفيتهم العقدية والحضارية.

لقد قدم الرسول صلى الله عليه وسلم للعالم نموذجاً حضاريًّا راقياً في بناء مجتمع على أسس العيش المشترك، فيما يعرف بـ"صحيفة المدينة".

يمكن للدولة بمؤسساتها أن تقدم الكثير لمواطنيها من ذوي الأصول (الأجنبية) لتعزيز مفهوم المواطنة، ومن ذلك ما يل

- احترام الخصوصية الدينية والثقافية للأقليات الدينية والعرقية وترجمته في صور قانونية، وإجراءات عملية.

[14] الهويات القاتلة ص 8، 9.

- تجريم الإساءات لأصحاب الأديان والثقافات المختلفة، ومنه تجريم الإساءة للإسلام والمسلمين، وهناك مساعي حميدة في هذا الصدد نتج عنه تكوين لجان لرصد الإسلاموفوبيا؛ سواء من قِبل المسلمين ومؤسساتهم أو من قِبل الدولة نفسها؛ كما هو الحال عند مؤسسة الديتب التركية التي تخرج تقرير سنوي حول الإسلاموفبيا، وقد شكلت وزارة الداخلية الألمانية عام 2020 لجنة رصد من تسعة خبراء ينحدرون من أوساط علمية مختلفة، ومهمة هذه اللجنة تقديم تقارير حول معادة المسلمين في ألمانيا.

- وضع ميثاق أخلاقي للصحافة المرئية والمقروءة والمسموعة للحد من التحيز ضد المسلمين وتنميطهم بصور سلبية.

- الاحتفاء بالمناسبات الإسلامية الكبرى، الأعياد، وشهر رمضان المبارك، وقد شهدت مختلف الدول الأوروبية في السنوات الأخيرة حضورًا مميزًا للشخصيات الرسمية من كافة المستويات القيادية مناسبات المسلمين.

وبادرت بلدية فرانكفورت بالاحتفال بشهر رمضان، فخصصت ميزانية قرابة 75 ألف يورو لزينة رمضان وتم تجميل أكبر شارع تجاري في المدينة بتلك الزينة البهيجة، ولاقت تلك المبادرة قبولاً وارتياحاً واسعاً في أوساط المسلمين، وفي المقابل أحدثت نوعاً من الجدل في الأوساط الألمانية بين مؤيد ومشجع لها، وبين رافض ومتخوف مما يسمونه (أسلمة ألمانيا) وخاصة من تيار اليمين وبعض الشخصيات السياسية في عدد من الأحزاب.

وهناك الكثير من الأفكار الأخرى التي يمكن أن تسهم في تعزيز المواطنة انطلاقاً من احترام الهوية لمواطني المجتمع.

"يوجد في تاريخ الإسلام ومنذ بداياته قدرة مميزة على التعايش مع الآخر.
وفي نهاية القرن الماضي كان يوجد بين سكان إسطنبول، عاصمة القوة الإسلامية الأساسية، أغلبية غير مسلمة تتألف من اليونانيين والأرمن واليهود.
هل يمكن أن نتخيل في العصر ذاته أن يكون نصف سكان باريس أو لندن أو فيينا أو برلين من غير المسحيين، مسلمين أو يهوداً؟
لا أطلق أي حكم، فقط أبين انه حدث أثناء التاريخ الإسلامي ممارسة طويلة للتعايش والتسامح.
وأسارع لأضيف أن التسامح لا يرضيني.
فأنا لا أرغب أن يتسامح معي الآخرون؛ بل أطالب أن يعتبرونني مواطناً كامل الحقوق مهما كانت معتقداتي.
سواء كنت مسلماً، أو يهوديًّا في دولة ذات أغلبية مسلمة، أو مسلمًا في وسط مسيحيين ويهود، وكذلك عندما لا أتبنى أية ديانة"[15].

سابعًا: جوهرة العالم تقدم أروع نموذج في التعددية والإخاء الإنساني

إنها قرطبة العظيمة ذو الأمجاد والازدهار العلمي والسياسي والثقافي والتعددية الدينية والحريات الواسعة، "كانت قرطبة عاصمة غير رسمية للعالم، كونها المدينة الأكثر تطوراً في العالم وتمثل دون أي نزاع المركز الثقافي والعلمي والفني والاقتصادي والمالي والسياسي لأوروبا شمال إفريقيا.

[15] الهويات القاتلة ص 52، 53، ويقصد الأستاذ أمين بالقرن الماضي: القرن التاسع عشر؛ وذلك؛ لأن الخلافة الإسلامية ألغيت عام 1924.

كانت قرطبة مثالاً يُضرب في الأحاديث ويُنشد في الأغاني ويُصور في الخيال كل السبل لاكتشاف الأسرار الخفية وكل البحوث عن أعلى المعارف، فضلاً عن كل المساعي إلى الحرية الشخصية والثروة والشهرة، كانت تقودك إلى قرطبة.

وكل من رغبوا في العثور على ما لم يتمكنوا من العثور عليه في مكان آخر، رحلوا من جميع أنحاء أوروبا والشرق الأوسط وشمال إفريقيا إلى قرطبة.

وجد الفلاسفة هناك أعمال أفلاطون وأرسطو، ولقى فيها الصوفية وأتباع الكابالا اليهودية وأصحاب المعرفة والاطلاع المسيحية ملاذهم في الأمان، وذهب الشعراء هناك لتلقي الإلهام، وفي قرطبة بحث الفنانون عن الجمال المثالي، والعلماء عن الحقيقة، فاشتهر اسم قرطبة بين المسيحيين حتى في أقصى أوروبا.

فبالإضافة إلى مئات المراجع الأصلية حول هذا الموضوع، فإن العبارة التالية بقلم أحد الخبراء المتميزين، وبأسلوبها الخاص تشهد لإسبانيا المسلمة بتلك الحقيقة: "تردد صدى مجد قرطبة في جميع أنحاء العالم المعروف، حتى تسلل إلى أقصى المناطق في ألمانيا؛ حيث إنَّ راهبة سكسونية تدعى "هروسفيتا" وهي مشهورة بكتابة قصائد ومسرحيات باللغة اللاتينية في النصف الثاني من القرن العاشر، أعطت قرطبة اسم "جوهرة العالم كله".

في عهد الخليفة الثاني كان في قرطبة عشرات القصور المتألقة، والترتيب الأفضل للبنية التحتية في العالم، ونظام مياه مع أكثر من 1500 نافورة عامة، و900 من الحمامات "الحمامات العامة المنفصلة للنساء وللرجال"، وحوالي خمسين من المستشفيات، وكانت قرطبة تملك أكبر مكتبة في العالم تحتوي على ما يقرب من مليون كتاب. و300 مسجد.

كانت أماكن العبادة المسيحية واليهودية تزين المدينة، وغالباً ما تكون بجوار المساجد. كان يوجد في قرطبة الأوروبية المسلمة 260 كنيسة كاثوليكية و80 معبد يهودي[16].

"عندما نقول: إنَّ الإسلام عنصر مكون في هوية أوروبا، فإننا نقول ذلك في سياق فلسفي شامل، بمعنى أن حديثنا يتنزل في المعنى الذي تكون فيه العناصر المكونة كاشفة بذاتها عن أنها شروط مسبقة لذلك التكوين الذي تكون هوية الشيء متأتية منها بالأساس بمعنى ما كان يمكن لهوية أوروبا أن تكون ممكنة بالشكل الذي هي عليه، وما كانت أوروبا لتكون أوروبا.

إن ادعاء احتكار أهم القيم السياسية والاجتماعية التي بلغها العالم اليوم واعتبارها مخرجات حصرية ل "الحضارة الغربية الأوروبية المسيحية" إنما يقصد من ورائه وبشكل مباشر، التعمية على حقيقة دور الإسلام وإسهاماته في تأكيد نموذج التسامح العالمي الذي أرساه وجعله واقعًا قابلًا للتطبيق في عالمنا المعاصر. وبالأخص التعمية على دور الإسلام المفصلي في خلق وتنمية ثقافة التسامح على أرض أوروبا[17].

وما ينبغي ذكره هنا أن دولة أسبانيا التي أظلتها حقبة تاريخية كبيرة في حياة الإنسانية وهي دولة الأندلس التي ناهزت ثمانية قرون من العطاء الحضاري الواسع ظلت من سقوط الأندلس إلى يومنا متنكرة لتلك الحقبة وهذا التاريخ؛ بل التزوير والإصرار على محو ثمانية قرون من ذاكرتها، على أنَّ العقود الثلاثة الماضية شهدت حركة بحث علمي لوصل حاضر أسبانيا بماضيها الإسلامي والعناية بالمخطوطات والبحوث حول "المورسكيين".

[16] فريد موهيتش: المكونات الإسلامية لهوية أوروبا، 168، 169، مركز الجزيرة للدراسات، الدوحة، قطر، الطبعة الأولى، 2016، ترجمة كريم الماجري.

[17] المصدر نفسه، ص53-55، باختصار.

ومن أراد التوسع حول العطاء الحضاري للمسلمين وإسهاماتهم في مسيرة الحضارة الإنسانية في العلوم والفنون المختلفة، وأثرها على نهضة أوروبا فيمكنه مراجع ما كتبه العلماء المنصفون من المستشرقين ومن سطرته أيدي العلماء والمفكرين المسلمين، كتب جوستاف لوبون كتابه حضارة العرب، وموسوعة قصة الحضارة التي أرخت لتاريخ العالم وحضاراته ل وول ديورانت الذي طاف الشرق والغرب قرابة أربعين عاماً حتى فرغ من كتابه وقام على ترجمته د. زكي نجيب محمود، وموسوعة المعارف الإسلامية التي صدرت ما بين عام 1913 – 1938 بنسخ إنجليزية وفرنسية وألمانية، وأسهم فيها عدد كبير من المستشرقين والمؤرخين والخبراء في شأن الدراسات الإسلامية. وصدرت منها نسخ باللغة العربية بعد ترجمتها.

ومنها موجز دائرة المعارف الإسلامية مركز الشارقة للإبداع الفكري في33 مجلد 1998 بتحقيق عدد من العلماء.

ولاريب أن هناك انتقادات وجهت لها وذلك؛ لأن من شارك فيها مستشرقون فلم يسلموا من الأخطاء والتأويلات الباطلة وسوء النقل، فصدرت بعض الكتب الناقدة، ومنها، موجز دائرة المعارف الإسلامية أضاليل وأباطيل د. إبراهيم عوض.

ولهذا لا ينصح مدارستها إلا في دائرة الطلاب وليس للعامة.

وكتبت د. زيجرد هونكه كتابها الشهير "شمس الله تسطع على الغرب" الذي ترجمته دار الآفاق الجديدة بيروت.

وللدكتور فؤاد سزكين رحمه الله جهود كبيرة في خدمة العلوم الإسلامية وتاريخها.

د. فؤاد سزكين ومعهد دراسات التاريخ والعلوم الإسلامية والعربية في جامعة جوتة بفرانكفورت، شارك فيه 14 دولة وجمع 800 نسخة طبق الأصل من الأجهزة العلمية والخرائط التي ابتكرها المسلمون.
جمع المخطوطات العربية والإسلامية في الشرق والغرب ونسخها وترجمها للألمانية وكتب عن جميع فروع المعرفة التي أسهم فيها المسلمون تاريخ التراث العربي.
وكتب د. محمد عمارة كتاباً مهما نقل فيها شهادة عشرات المستشرقين الغربيين: الإسلام في عيون غربية
وكتاب الإمام أبو الحسن الندوي، ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين
ومن الكتب الحديثة في هذا الباب كتاب د. راغب السرجاني ماذا قدم المسلمون للعالم / إسهامات المسلمين في الحضارة الإنسانية.

ثامناً: أهم المعالم التي تشكل شخصية المسلم الأوروبي

لو أردنا أن نقدم تعريفاً موجزاً واضحاً في حروف دقيقة عن شخصيتنا ومكوناتها وفلسفتنا في الحياة فيمكن أن تتشكل من خلال تلك الحروف التالية :

1- نحن مسلمون أوروبيون ننتمي للإسلام ديناً، ولأوروبا وطناً، ونهتدى بأنوار القرآن العظيم الذي يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى والصدق والأمانة والتعارف بين الناس، وينهى عن الظلم والكراهية وقطع الأرحام، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ

﴿يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: 90]، ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ ۚ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحديد: 25]

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا ۚ اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المائدة: 8]،

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَن تَعْدِلُوا ۚ وَإِن تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [النساء: 135].

2- مسلمون أوروبيون نحب أوطاننا التي نعيش فيها، ونحب لها الخير والرفعة والنهضة، ونسعى بكل سبيل لتعزيز قيم الحرية والعدالة والتعايش والتعددية والمواطنة والانفتاح على العالم من حولنا.

3- مسلمون أوروبيون نفهم الإسلام فهماً شاملًا يجمع بين الدين والدنيا، ويصل النقل بالعقل، ويلبي حاجات الجسد وأشواق الروح، ويوازن بين الفرد والمجتمع، ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: 3] ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: 89]، ونؤكد أن كل قطيعة بين الدنيا والآخرة تعني ضياع أحدهما، ونحن ندعو بدعاء القرآن الكريم بحسنة الدنيا وحسنة الآخرة، وكل قطيعة بين العقل والنقل والعلم والدين ليست من الإسلام في شيء؛ بل نجني على الأديان والإنسان وكم شقي العالم حينما خاصم التقدم العلمي القيم واستمسك بعروة المصالح والمنافع.

يقول الأستاذ علي عزت بوجوفيتش: "التقدم العلمي مهما كان واضحاً بارزاً لا يمكنه أن يجعل الأخلاق والدين غير ضروريين. فالعلم لا يعلم الناس كيف يحيون، ولا من شأنه أن يقدم لنا معايير قيمية.

ذلك؛ لأن القيم التي تسمو بالحياة الحيوانية إلى مستوى الحياة الإنسانية تبقى مجهولة وغير مفهومة بدون الدين فالدين مدخل إلى عالم آخر متفوق على هذا العالم، والأخلاق هي معناه"[18].

4- نؤمن أن التنوع الذي يَنْعم به المجتمع الأوروبي في الألوان واللغات واللهجات والأعراق والثقافات هو مصدر قوة وثراء، ونراه أجمل من لوحة فسيفسائية تسر الناظرين.

ولا غرو فإنَّ صورة الاختلاف بين الناس إنما هي الوجه الآخر لجمال صُنع الله في الكون؛ حيث يبدو الكون جميلاً في تنوعه متنوعاً في جماله. وإنك لترى في مشهد واحد لوحةً فنيةً بديعةً، ترى فيها جبالاً وأنهاراً وأرضاً ووديانا وبحاراً وأزهاراً وجناتٍ من أعنابٍ وزرعٍ ونخيلٍ.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا ۚ وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ (27) وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ [فاطر: 27، 28]

[18] الإسلام بين الشرق والغرب باختصار 90،91.

وهذا التنوع في خلق الناس أشار إليه القرآن العظيم في قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ﴾ [الروم: 21]

5- مسلمون أوروبيون نؤمن بأخوتنا الإسلامية وأننا أمةٌ واحدةٌ وجسدٌ واحدٌ كما أمرنا الله تعالى وعلَّمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهذه الأخوة الإسلامية أقوى رابط بين المسلمين وهي عنوان وحدتنا وعزتنا وكرامتنا، قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: 92].

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الحجرات: 10]

وعن ابن عمر رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يُسْلِمُهُ، مَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللهُ فِي حَاجَتِهِ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً، فَرَّجَ اللهُ عَنْهُ بِهَا كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»[19].

6- لا نرى تعارضاً بين تعدد الانتماءات والولاءات، فالانتماء للوطن الأوروبي مَولداً أو إقامةً لا يتعارض مع محبة أوطان الآباء والإفادة من عاداتها وثقافتها وتراثها التي لا تتعارض مع تعاليم الإسلام وأخلاقه أو تدعو للعنصرية البغيضة أو تحل حرامًا أو ترحم حلالًا: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [التوبة: 24].

[19] البخاري (2310)، ومسلم (٢٥٨٠).

7- نؤمن برسالة الإسلام العالمية، فهي رسالة لكل زمان وكل مكان، وقد أعلن القرآن الكريم عن هذا البُعد العالمي منذ أول نزوله في مكة، قال تعالى:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [سبأ: 28]

﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: 1].

ونرى أن الإسلام أضاف إلى الإنسانية الكثير والكثير، وما زال العالم بحاجة إلى رؤية الإسلام في كثير من القضايا والاستماع إلى كلمته، وعلى مسلمي الغرب عامة أن يقدموا من هدى الإسلام الحلول لمشكلات المجتمعات المعاصرة.

وقد جاء ديننا العظيم برسالة تُكمل طريقا دَرَجَ عليه النبيون، ووجد رصيداً من ميراث الوحى كامناً في نفوس الناس، فبنى عليه، وأتمَّ النقص، وسدَّ الخلل، وقوَّم ما اعوجَّ، وأصلح ما فسد، وعمَّر ما خرب، ورفع ما وُضع، وَوَضْعَ ما لم يستحق إعلاؤه، وقال معبراً عن ذلك صاحب الرسالة صلى الله عليه وسلم : «**إِنَّمَا بُعِثْتُ لأُتَمِمَ مَكَارِمَ الأَخْلاَقِ**»[20].

رواه أحمد .

إننا نفهم الإسلام أنه رسالة تدعو إلى الشراكة والالتقاء على المصالح التي تنفع الناس وتُصلح الكون، دون تهميش أو إقصاء لأحد.

8- مسلمون أوروبيون نؤمن بأن أحكام الإسلام منها الأحكام الثابتة القطعية التي لا تتغير لتغير الزمان والمكان و الأحوال والعرف و المصالح، ومصدر هذه الأحكام نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، والإجماع والقياس. وقد نص على ذلك الأئمة الإمام ابن القيم في إعلام الموقعين وكتاب إغاثة اللهفان. وأحكام اجتهادية تختلف

(20) رواه الحاكم عن أبي هريرة رضى الله عنه (4221)، وصححه الألباني، انظر: السلسلة الصحيحة، (45).

فيها أنظار الفقهاء وَفقا لتعدد الأفهام في فهم النصوص، وتعدد مناهج المدارس الفقهية، ونعتبر أن هذا من الثراء الفقهي والفكري، ومن دلائل صلاحية تعاليم الإسلام لكل زمان ومكان، ومن تجليات حَفْز العقول للتفكر والتأمل والاجتهاد فيما يتجدد للناس في حياتهم حاضراً ومستقبلاً.

"وهذا يعني أن الهوية الإسلامية ليست مغلقة ومحصورة ضمن مبادئ صارمة غير مرنة. بل هي على العكس مبنية على حركة جدلية دينامية دائمة بين المصادر والبيئة غايتها إيجاد وسيلة للعيش بانسجام وتناسق"[21].

9- مسلمون أوروبيون نؤمن بأن هذا العالم سفينة كبيرة تجري بمن على وجه الأرض، وإنَّ مسئولية أمنها وسلامتها أمانة في أعناقنا جميعاً، فمصيرنا واحد ومستقبلنا مشترك. وهذا الكوكب الذي نسكنه يجب أن نحميه مما يهدده من أخطار التلوث والعبث بخيراته، ونؤكد أن قسمة العالم إلى دار إسلام ودار كفر يعود إلى حقب تاريخية "دل عليه الواقع التاريخي لزمان التشريع، وجاء استعماله في السنة والأثر كوصف لذلك الواقع، تبعا للحالة السياسية السائدة وليس مطلوبًا لذاته، ولا مأمورا بهفي دلائل الكتاب والسنة لا أمرر إيجاب ولا ندب، وعليه، فليس من لوازم دين الإسلام"[22].

10- نؤمن بحق كل إنسان في الوجود، وأن يختار ما يؤمن به، ويحدد طريقة عيشه في الحياة دون أن يضر غيره، ونرفض كل صور الإكراه، وآية من القرآن يتلألأ منها نور الحرية علينا أن نتأملها طويلاً، قال تعالى: ﴿**لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**﴾ [البقرة: 256]

[21] د. طارق رمضان: مسلمو الغرب ومستقبل الإسلام ص166، المجلس الوطني للثقافة والفنون والتراث، الدوحة، قطر، ط1، 2005.

[22] عبد الله الجديع: تقسيم المعمورة في الفقه الإسلامي، ص 48 باختصار وتصرف يسير، من إصدارات المجلس الأوروبي للإفتاء والبحوث، الكتاب 2، 2007.

11- نؤمن أن الاختلاف في العقيدة لا يجوز أن يكون عاملاً من عوامل الصراع والنزاع والكراهية والتمييز بين الناس، ونرفض التطاول على عقائد الآخرين والإساءة إلى مقدساتهم.

كما نؤكد أن ما يجمع بين بني آدم حول العالم أكثر بكثير؛ مما يُفرقهم، وأن التحديات التي تواجه الإنسان في عصرنا من الأمراض النفسية والروحية والحروب والمجاعات وقضايا الشباب والأسرة تستوجب التعاون المشترك وتوحيد الجهود.

﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: 99] ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ [هود: 118]

12 – نعتز بتاريخ الحضارة الإسلامية وإسهامها في نهضة أوروبا ثقافيًّا وعلميًّا وقيميًّا؛ فقد أشرقت شمس الحياة من جنوب أوروبا في دولة الإسلام زهاء ثمانية قرون.

"فما هو مسلم به أن مفهوم التسامح الاجتماعي، باعتباره خاصية حضارية لأوروبا الحديثة، إنما هو إرث من العامل الإسلامي بكل المعاني؛ فقد تأسست الكيانات الاجتماعية للأندلس، من حيث المبدأ على أسس التعددية الثقافية.

وكانت فلسفة الشمول المتسق للدولة الإسلامية الأوروبية الأولى تتعامل معلا الفروق العرقية والدينية على حد سواء. وبطبيعة الحال؛ فقد تسبب ذلك في صدمة

حقيقية ثقافية للنموذج التقليدي للمجتمع المسيحي الأوروبي المبني على أساس التفرد الديني الجامد القائم على المبدأ المعروف "دين الحاكم هو الدين الذي يسود"[23].

لقد استطاعت دولة الأندلس أن تجسد قيمة التعددية الثقافية والعرقية والدينية، فعاش المسلمون تحت ظل دولة واحدة استوعبت الأعراق المختلفة منهم، وفي الوقت نفسه كان الأديان الثلاثة الإسلام والمسيحية واليهودية يعيشون جنبًا إلى جنب في أجواء من الحرية والتسامح.

فماذا حل بقيمة الحريات الدينية والتعددية بعد سقوط دولة الإسلام الأوروبية في غرناطة؟

ما إن سقطت غرناطة عام 1492 م حتى بدأ عصر محاكم التفتيش فدمرت المساجد والمعابد اليهودية وحُول الكثير منها لكنائس ومن لم يغادر الأندلس إلى شمال إفريقيا أُجبر على التنصير، وطوت البلاد صفحة الحريات والعلم والتعددية، ثم دخلت في حُقب الاستبداد والظلام.

13- اللغة العربية هي اللغة التي اختارها الله تعالى لخير كتاب أُنزل ونطق بها خير نبي أُرسل صلى الله عليه وسلم ، وهي أساس الفهم الدقيق للقرآن الكريم وتذوق بلاغته واستيعاب معانيه، ولها أثر كبير فهم الأحكام الشرعية وتعاليم الإسلام فهماً صحيحاً دقيقاً. والرسوخ في اللغة العربية من شروط الفقهاء المجتهدين، وعلينا نفخر بها ونطور

[23] المكونات الإسلامية لهوية أوروبا، ص183 باختصار يسير.

مناهجها وأساليب تدريسها لأولادنا في الغرب خاصة، وفي العالم عامة ليتمكنوا منها قراءةً وكتابةً وتحدثًا بقدر الوسع والإمكان.

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.